

الدلالة التركيبية في سورة الصافات

م.م أحلام عبد المحسن صغر

كلية التربية- جامعة ذي قار thi qaruni.org

المقدمة :

قد يستحسن بها ولا يستحسن بها الحذف وهما أدخل في الإحساسات والمشاعر المنبعثة من ترتيبها في خطرات النفس ، وهذا ما يمكن ان نفهمه من قول الجرجاني ((وإذ عرفت هذه الجملة... فاعلم ان ذلك سبيله في كل شيء فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال ينبغي ان يحذف فيها الا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره وترى إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به)) (١).

ومن مصاديق هذا المفهوم في ميدان البحث الإجرائي ودلالاته التركيبية في سورة الصافات :

قوله تعالى : (مَرْبُ السَّكَاتِ وَالْمَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَرْبُ

السَّكَاتِ) (٢) فقد كان للذكر فيه دلالة صافية ينظر

فيها المعنى بوضوح ولا يمكن الاستغناء عنها بالحذف ، وقد ((ذكر المشارق لأنها مطالع الأنوار والأبصار بها أكلف وذكرها يغني عن ذكر المغارب ، إذ ذاك مفهوم من المشارق)) (٣) .

ومما يلحظ أيضاً قوله : (وَمَرْبُ السَّكَاتِ) أي

مشارك الشمس باختلاف الفصول أو المراد مشارق مطلق النجوم أو مطلق المشارق ، وفي تخصيص المشارق بالذكر لطلوع الوحي بملانكته من السماء وقد قال تعالى : (وَلَمَّا رَأَى الْأَفْقَ الْبُنِينَ) (٤) ، وقال : (وَمَا أَفْقُ الْأَعْلَى) (٥) (٦) .

أما الحذف فيؤتى به في عدة مواضع لأغراض ومعان مختلفة قد يجليها السياق ويستنبطها المتلقي من القران التي تومئ إلى الدلالة المقصودة . وهو من الظواهر التي عرض لها اللغويون العرب وأولوها عنايتهم و((قد حذفت العرب الجملة والمفرد ، والحرف ، والحركة)) (٧) . إذن ف ((هو تصرف تصفى به العبارة ويشد به أسرها ويقوى حبكها ويتكاثر إبحاؤها ويمتلئ ميناها ، وتصير أشبه بالكلام الجيد وأقرب إلى كلام أهل الطبع ، وهو من جهة أخرى دليل على قوة النفس ، وقدرة البيان ، وصحة الذكاء ، وصدق الفطرة)) (٨) .

إن دراسة البنية التركيبية هي محاولة للبحث الإجرائي في دلالة الجمل ونظامها البنائي الذي يشكل النظم الأخرى في السور القرآنية ودلالاتها العالية الأداء الفهمي والتوصيلي ، ويبدو أن الهدف من دراسة دلالة التركيب هو رصد التحولات الكلامية والكشف عن الأثر الدلالي الذي تنتجه سورة الصافات من سياقات الفهم والاستيعاب عند متلقيها بمعنى أننا لا نسعى من وراء البحث عن المكون الدلالي المعجمي بل نسعى إلى البحث عن المكون الدلالي الناتج عن نظم نحوية تركيبية اعتمدت عليها بنية سورة الصافات أساساً رئيساً في تأسيس وحدة الفهم والاستيعاب المنظومي في إطار الدلالة تجسدياً للمعنى المقصود في وحدة التأويل المعنوي لنتاج فهم النص وتفسير سياقاته المنضوية تحت إطار مفاهيمه النصية وما يفرزه ذلك النتاج النصي من قدرات يستوعبها متلقيه وبعد نتاجه من جديد . وهذا ما سنجده في دلالة أهم مكونات البنية التركيبية من الذكر والحذف والتقديم والتأخير والإظهار والإضمار وغيرها في سورة الصافات ميدان التطبيق في البحث الإجرائي مبتدئين بالذكر والحذف ودلالاتهما .

١- الذكر والحذف :

يعد أسلوب الحذف شكلاً من أشكال التحولات الأسلوبية التي تطرأ على بناء الجملة العربية ، إذ ان من مقتضيات الدلالة انها تتطلب الدقة والتثبت في تراكيبيها ، فلا تأتي بها مطبنة مملّة ولا توردها موجزة مخلة ، فهي تصطفي من هذين ما اتسق وأبان ولاح في الصحة والإبلاغ من مكامن الأسرار ورفع البيان .

الأول : معناه ما منا ملك الا له مقام محذوف ومعناه لا يتجاوز ما أمر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حد له فكيف يجوز ان يعبد من هو بهذه الصفة وهو عبد مربوب ، على أن الملائكة تيرأت ممن يعبدها وتعجبت من ذلك .

الثاني: تقديره وما منا الا من له مقام ، فحذف الموصول وأبقى الصلة وهو بعيد جداً .

نلاحظ مما تقدم ان الأصل في التعبير الإفادة في بلوغ المقاصد الدلالية أي إفادة السامع معنى يحسن السكوت عليه ، فهذا هو التناسب الدلالي الذي تبتغيه البلاغة ذلك بوصفها : ((مراعاة المقامات والأحوال ، فالذكر في موطنه بليغ مطابق والحذف في موطنه بليغ مطابق)) (٢٦). يؤدي المعنى المقصود ويمنح النص القدرة التوصيلية والافهامية عند متلقيه وعندئذ تكون القراءة قراءة منتجة استوعبت سياقات النص الالفهامية .

٢- التقديم والتأخير :

تكاد سمة كل كلام رفيع في موافقته قوانين تلك اللغة التي جاء بها وتكتمل هذه السمة جمالية إذا طابقت مقتضى الحال ودواعي المقام .

فالتقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية تنتج على مستوى التركيب لتشكل بعداً دلالياً ، إذ تمثل حركة التحول داخل الجملة ، أي أن التحول يبرز في البنية السطحية بانتقال المكونات التركيبية والدلالية من مكان إلى آخر على امتداد أفقية الجملة بمعنى انه يختلف عما سبقه من تحولات في الذكر أو الحذف (٢٧)، وهي تحولات ناتجة في الحركة العمودية التي تصيب مكونات التركيب وهي في مكانها الأصلي وموقعها داخل السياق ، وقد قال عنه عبد القاهر الجرجاني : ((هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعه ويفضي إلى لطيفه... ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ان قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان)) (٢٨) .

ومن مواضع التقديم والتأخير في سورة

الصافات قوله تعالى : (إِنَّا نُرِيكَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيَّةً

الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧)) (٢٩)

فيلحظ أنه نصب ((وحفظاً)) على المصدر أي : وحفظناها حفظاً أو على المفعول من أجله على زيادة الواو ، أو على تأخير العامل أي ولحفظها زينها بالكواكب وحملاً على معنى ما تقدم لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً)) (٣٠) .

ومنه تقديم (قوم نوح) لما ذكر ضلال الأولين في

قوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَلَّ بِهَذَا أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

وقد يكون لكثرة الاستعمال سبب في وقوع ظاهرة الحذف ، لما فيه من التخفيف الذي يتجه إليه الناطقون بفطرتهم (٩).

ومن أمثلته في سورة الصافات :

حذف حرف النون من اسم الفاعل (ذائقون) في قوله تعالى : (إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) (١٠) فالعذاب خفض للإضافة ويجوز

في الكلام النصب على أن يعمل فيه (لذائقو) ويقدر حذف النون استخفافاً للإضافة (١١) ، أو حذف كلمة كقوله تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) (١٢) ، قال الطوسي في تقدير المعنى : ((والتقدير (ورب الصافات) وحذف لما ثبت من أن التعظيم بالقسم لله وجواب القسم قوله : (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) (١٣))) (١٤) أو في الفعل كما في

قوله تعالى : (إِنَّا نُرِيكَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيَّةً الْكَوَاكِبِ (٦)

وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧)) (١٥) ، قال

الاحفش : (وقال : (حفظاً) لأنه بدل من اللفظ بالفعل كأنه قال : (وحفظناها حفظاً) (١٦) أو حذف المضاف وأقامة المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى : (إِنَّكُمْ أَهْلَةٌ

دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) (١٧) قال الطوسي : ((معناه انكم

تريدون عبادة الآلهة دون عبادة الله ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كما قال : (وَأَسْأَلُ الْقُرْآنَ) (١٨)

أي أهلها ، الإرادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه وهذه الأجسام ليست مما يحدث فلا يصح إرادتها)) (١٩) . أو قد يقع الحذف في المتعلقات كحذف المفاعيل

مثل قوله تعالى : (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) (٢٠) قال

الطوسي في تقدير المعنى : ((ثم دعا إبراهيم ربه فقال : (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) يعني ولداً صالحاً من

الصالحين ، كما تقول أكلت من الطعام ، وحذف لدلالة الكلام عليه ، فأجابه الله تعالى إلى ذلك وبشره بغلام حلیم أي حلیم لا يعجل في الأمور قبل وقتها)) (٢١) .

أو في المصدر كما في قوله تعالى : (إِنَّا كَذَلِكْ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (٢٢) قال مكي في تقدير

المعنى : ((الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره (جزاء) كذلك نجزي)) (٢٣) .

ومن مواضع الحذف الأخرى في سورة

الصافات قوله تعالى : (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) (٢٤) ذهب

المفسرون في تقدير المحذوف إلى قولين هما (٢٥) :

تبعاً لما ذكرناه من البدء بالأصل والإطلاق فهي تفيد معناها مطلقاً من كل قيد ، أما ما ذكره علماء البلاغة من معانٍ استفيدت من النكرة فإنها لم تفدها بطبيعتها وإنما استفادت من المقام الذي وردت فيه فكأنما هو الذي يصف النكرة ويحدد معناها (٣٩) ، فهنا إشارة واضحة إلى دور السياق في إظهار دلالة النكرة وتحديد المعنى .

ومن مظاهر التنكير وخصائصه الدلالية في سورة الصافات :

(سلا) في قوله تعالى : (سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْمَعْمَرِينَ) (٤٠) فهنا نكرة وهي سلام وأي سلام هو بالغ في العظمة وقد ساغ الابتداء بهذه النكرة لما فيها من معنى الدعاء قال ابن الانباري : ((سلام مرفوع لأنه مبتدأ وعلى نوح ، خبره ، وجاز الابتداء بالنكرة لأنه في معنى الدعاء كقوله تعالى : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) (٤١))) (٤٢) .

والتعريف والتنكير ظاهرتان متقابلتان من الظواهر التعبيرية التي يهتم ببحثها علم المعاني (٤٣) ، ويأتي التعريف بستة طرائق وهي ما أطلق عليه النحاة بالمعرفات وهي الضمان والعلم واسم الموصول و اسم الإشارة و المعرفة بال و المعرفة بالإضافة ، ولا يخفى أهمية الجانب السياقي في إثبات التعريف على التنكير في القرآن الكريم إذ لا تتم عملية التحول هذه من دون أن يكون هناك داع بلاغي لهذا الأمر .

ومن مظاهر التعريف بالإضافة (بِرَبِّهِ الْكَوَاكِبِ)

في قوله تعالى : (إِنَّا نَزَّلْنَا السَّمَاءَ دَرِيئًا نَزَّلْنَا الْكُوكِبَ) (٤٤) فقد أضيفت الزينة إلى الكواكب ((وهي قراءة العامة * ، وعن الأعمش أنه قرأ (بزينة الكواكب) بخفض الكواكب بالتكرير فيرد معرفة على نكرة كما قال : (كَأَنَّ لَنْ لَمْ يَنْتَه لَسَمْعًا بِالنَّاصِيَةِ) (١٥) نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِلَةٍ) (٤٥) فَرَدَّ نكرة على معرفة)) (٤٦) .

ومن مظاهر التعريف الألف واللام المعرفة ويأتي التعريف بها إما حالةً إشارية إلى معهود خارجي أو معهود ذهني أو حضوري أو تكون هذه اللام إلى استغراق الجنس (٤٧) ، فمن التعريف باللام (الخطفة) في قوله تعالى : (إِنَّا مَنْ حَطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) (٤٨) قال العكبري : ((والخطفة) مصدر ، والالف واللام للجنس أو للمعهود منهم)) (٤٩) .

ومن مظاهر التعريف الأخرى إضافة اسم الفاعل في قوله تعالى : (لَكُمْ لَذَائِقُ الْعَذَابِ الْإِلِيمِ) (٥٠) قال الانباري :

فِيهِ مُذْمَرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَمِّرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) (((٣١)

قال أبو حيان : ((واستثنى المخلصين من عباده ، وهم الأقل المقابل لقوله : (أكثر الأولين) والمعنى الا عباد الله ، فانهم نجوا ، ولما ذكر ضلال الأولين وذكر أولهم شهرة وهم قوم نوح عليه السلام ، تضمن أشياء منها الدعاء على قومه وسؤاله النجاة وطلب النصرة وأجاب الله تعالى في كل ذلك إجابة بلغ بها مراده)) (٣٢) .

ومنه التقديم للدلالة على التشريف كما في قوله تعالى : (وَإِنْ مِنْ شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ) (٣٣) إذ قدم ذكر النبي (محمد صلى الله عليه وآله) تشريفاً وتفضيلاً وتقدير المعنى : ((ان من شيعة محمد (صلى الله عليه وآله) إبراهيم يقول على دينه ومنهجه فهو من شيعته وان كان إبراهيم سابقاً له ، وهذا مثل قوله (وَأَبَتْ لَهُمُ أُنَّا حَمَلًا ذُرِّيَّتَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) (٣٤) أي ذرية من هو منهم فنجعلها ذريتهم وقد سبقتهم)) (٣٥) .

ومنه تقديم المفعول به ومثله قوله تعالى : (إِنْفَكَا

آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) (٣٦) ، قال أبو حيان : ((وأجازوا في نصب (إِنْفَكَا)

وجوهاً أحدها : ان يكون مفعولاً لتريدون والتهديد لامته وهو استفهام تقرير ولم يذكر ابن عطية غير هذا الوجه وذكره الزمخشري قال : فسر الأفك بقوله : آلهة من دون الله على أنها أفك في أنفسهم ، والثاني ان يكون مفعولاً من أجله أي تريدون آلهة من دون الله إفكاً ، وآلهة مفعول به وقدمه عناية به وقدم المفعول له على المفعول به ، لأنه كان الأهم عنده ان يكافحهم بأنهم على أفك وباطل في شركهم)) (٣٧) ، إذ الأصل ان يأتي المفعول به بعد الفعل والفاعل لكنه قد يقدم عليهما لغاية يقصدها المتكلم .

٣- التنكير والتعريف :

يعد التنكير الأصل في الكلمة ((لكونه مطلقاً ثم يأتي التعريف ليحصر نوعه ويقيده بوحدة من أوجه التعريف المعروفة عند النحاة)) (٣٨) إذ يظهر أن النكرة لا تلتبس عبر أداة تميزها عن غيرها في حين يأتي التعريف بطرائق ومسارات تنقل المفردة من الإطلاق إلى التقيد تبعاً لأسباب ومستحققات تمنح الكلمة تعريفها أو تنكيرها .

وقد أخذت هذه الخصيصة حيزاً مهماً في النص القرآني الكريم لما تحمله من دلالات ، ونبدأ مع التنكير

((العذاب مجرور بالإضافة ولهذا حذفت النون من (الدائقو) وقرأ : إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ ، بالنصب لأنه قدر حذف النون للتخفيف لا للإضافة وهو رديء في القياس)) (٥١) .

٤- الفصل والوصل :

لا يخفى على المهتم بمعاني النظم ما لهذه الظاهرة التعبيرية (الفصل والوصل) من حضور في دلالة التركيب ، والدور الذي يؤديه أسلوب العطف في هذه الظاهرة إذ أن الفصل والوصل ((قاعدته العظمى حروف العطف وينعطف عليها حروف الجر وتكون تابعة لها ، فانه يتعلق بكل واحد منها أسرار)) (٥٢)

وقريب من هذا المعنى أكد عبد القاهر الجرجاني أن ما ((يضع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحد منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه الا الأعراب الخالص)) (٥٣) .

إذن يكمن في الفصل والوصل سر بلاغي ولا يقترب من هذه الآلية التركيبية مع فهم السر البلاغي الا الأعراب الخالص ، و بين ذلك الجرجاني وقد وضع علماء البلاغة حدوداً للفصل والوصل إذ أن ((الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة منها عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه الا من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً وزرّق في إدراك الأسرار ذوقاً صحيحاً)) (٥٤) .

ومن هنا يجب أن نفهم الرابط بين الجملتين ، فإن لم يكن هناك قدر جامع بينهما فيكونا متباينين ، وإذا كانا متباينين تفصل الجملة عن الأخرى . وإذا كان بينهما رابط توصل ، والرباط قد يقتضي أن يقع بين الضدين أو المثلين أو النظيرين. ومما ورد على سبيل الوصل قوله تعالى : (اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا

وَأَنزَوِجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ) (٥٥) . ف (احشروا)

خطاب من الله للملائكة أو خطاب الملائكة بعضهم لبعض ، أي اجمعوا الظالمين ونساءهم الكافرات ((قرأ عيسى بن سليمان الحجازي : (وأنزواجهم) مرفوعاً عطفاً على ضمير (ظلموا) ، أي وظلم أزواجهم)) (٥٦) وهي في القرآن منصوبة أي أنها معطوفة على (الذين ظلموا) (٥٦) .

أو كقوله تعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥)

بِضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّامِرِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧)

وَعَنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكُونٌ (٤٩)

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءُكُونُ (٥٧) قد يوصل المعنى

بين الجملتين على الرغم من اختلافها من حيث الزمن امتداداً لدلالة السياق وتأكيداً لقرائن الأحوال والمقام إذ أن ((تساولهم في الجنة سؤال راحة وتنعيم ، يتذكرون نعيمهم وحال الدنيا والإيمان وثمرته و(فأقبل) معطوف على (يطاف عليهم) والمعنى : يشربون فيحدثونه على الشرب كعادة الشرب في الدنيا... ، وجيء به ماضياً لصدق الأخبار به ، فكأنه قد وقع ، ثم حكى تعالى عن بعضهم ما حكى يتذكر بذلك نعمه تعالى عليه حيث هداه إلى الإيمان واعتقاد وقوع البعث والثواب والعقاب ، وهو مثال للتحفظ من قرناء السوء والبعد عنهم)) (٥٨) ومنه

قوله تعالى : (فَأَنَّهُمْ لَبَآكُونَ مِنهَا فَكَأَنَّهُمْ لَبَآكُونَ (٦٦)

ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى

الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلَفُوا أَبَاءَهُمْ صَالِينَ (٥٩) . نلاحظ

أهمية الوصل لأنه لا بد أن تكون هناك صلة معنوية وثيقة برابط دلالي ، جاء في البحر المحيط : ((ولما ذكر انهم يملؤون بطونهم من شجرة الزقوم للجوع الذي يلحقهم أو لإكراههم على الأكل وملاء البطون زيادة في عذابهم ، ذكر ما يسقون لغلبة العطش ، وهو ما يمزج لهم من الحميم ، ولما كان الأكل يعتقبه ملء البطن كان العطف بالفاء في قوله تعالى : (فمالنون) ولما كان الشرب يكثر تراخيه عن الأكل ، أتى بلفظ (ثم) المقتضية المهملة ، أو لما امتلأت بطونهم من ثمرة الشجرة وهو حار أحرق بطونهم وعطشهم فأخر سقيهم زماناً ليزدادوا بالعطش عذاباً إلى عذابهم ثم سقوا ما هو أحر وألم وأكره .(ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى

الْجَحِيمِ) لما ذهب بهم من منازلهم التي أسكنوها في

النار إلى شجرة الزقوم للأكل والتملؤ منها والسقي

من الحميم ونواحي رجوعهم إلى منازلهم ، دخلت(ثم

(لدلالته على ذلك والرجوع دليل على الانتقال في وقت

الأكل والشرب إلى مكان غير مكانهما ثم ذكر تعالى

حاليهم في تقليد آبائهم)) (٦٠) .

أما الفصل فيتجلى بوضوح ويدرك عند التأمل في دلالة

الآية : كقوله تعالى : (لَا يَسْعَوْنَ إِلَى الْمَاِ الْأَعْلَى وَيُقَدَّرُونَ مِنْ

كُلِّ جَانِبٍ) (٦١) ، إذ انه ((كلام منقطع مبتدأ ،

اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع ، وأنهم لا

يقدرُونَ ان يسمتعوا أو يسمعوا ، وهم مقدوفون

بلاغية وعلى المخاطب ان يبحث عن سبب العدول)) (٦٧) والانزياح الذي تولده دلالة التراكيب اللغوية فحالة العدول أو الانزياح عن القاعدة الأصلية تمثل حالة الخروج عن مقتضى الظاهر وتشهد تحولاً بلاغياً فمتى عد الإضممار بنية أصلية كان الإظهار تحولاً بلاغياً ومتى عد الإظهار هو البنية الأصلية كان الإضممار هو التحول البلاغي (٦٨) .

من مظاهر وضع المضممر موضع الظاهر : ذلك ان بنية الأصل هي الإظهار ولكن التحول حدث لوضع المضممر موضعه ، ومن ذلك في سورة الصافات قوله تعالى : (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) (٦٩) قال الفراء : ((ولم يقل صالحاً فهذا بمنزلة أنْ فأصب من الطعام ، وهو كثير يجتزأ بمن عن الظاهر كما قال الله (وَسَرُّهُ بِشَنْ

بَحْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) (٧٠) ولم يقل زاهد من الزاهدين)) (٧١) فهذا الخروج عن مقتضى الكلام هو تحول بلاغي له دلالة مستفادة من المعنى السياقي الذي تشير إليه الآيات الكريمة وقد جاء الضمير موضع الظاهر لقصد التفخيم والعناية به كما في قوله تعالى : (وَإِنْ كَانُوا يَقُولُونَ) (٧٢) ، (إن) هنا مخففة من الثقيلة عند البصريين ولزمت اللام في خبرها للفرق بينها وبين (إن) الخفيفة التي بمعنى (ما) ، فاسم (إن) مضممر (وكانوا) وما بعدها خبر (إن) ، والواو اسم كان وليقولون خبرها (٧٣) . ومن المواضع الأخرى في قوله تعالى : (نَكْفَرُوا

بِهِ فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ) (٧٤) قال الفراء : ((والمعنى وقد أرسل إليهم (محمد) ثم قال بالقرآن فكفروا به وهو مضممر لم يذكر لأن معناه معروف مثل قوله : (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ) (٧٥) (فَكَذَا تَأْمُرُونَ) ، فوصل قول فرعون بقولهم لأن المعنى بين)) (٧٦) .

فالعَدول في الكلام هو تحول بلاغي له دلالة سياقية في النص القرآني تجمع بين القدرة على الإبلاغ والقدرة على التعبير تدل على تفرد النص القرآني من دون غيره من أنواع التأليف الأخرى بطريقة نظمه وأسلوبه الدال على تناسق الشكل اللغوي واتساق دلالاته التعبيرية .

الخاتمة:

- ١- للسياق الأثر الكبير في الدلالات التركيبية ، إذ فيه تعين دلالة المفردة ويستقر معنى التركيب.
- ٢- إن أسلوب الذكر والحذف واحد من الأساليب التعبيرية عند العرب بما تحمل من شحنات دلالية بناء

بالشبه مبعدون عن ذلك الا من أمهل حتى خطف الخطفة واسترق استراقه ، فعندها تعاجله الملائكة بإتباع الشهاب

الثاقب ، ولا يجوز ان يكون (لا يسمعون) صفة ولا استئنافاً جواباً لسائل سأل لم يحفظ من الشياطين لأن الوصف كونهم لا يسمعون أو الجواب لا معنى للحفظ من الشياطين على تقديرهما ، إذ يصير المعنى مع الوصف : وحفظاً من كل شيطان مارد غير سامع أو مسمع وكذلك لا يستقيم مع كونه جواباً)) (٦٢) .

وبمعرفة الفصل والوصل بين دلالات المفردات أو بين التراكيب تستبان حدود هذه المفردات في علانها وتراكيبها ، لذا قيل : ((إن علم المعاني معياره الفصل والوصل بمعنى ان من أدركه كما ينبغي لم يصعب عليه شيء من سائر الأبواب بخلاف العكس)) (٦٣) .

وقد تكون جملة مفصلة بلحظ وموصولة بلحظ آخر ، لتوافق طبيعة السياق ودلالة الإسناد وتناسب النظم ودقة المعنى ، كقوله تعالى : (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ)

(٦٤) قال الطوسي في بيان المعنى ((كلهم قرأ (أصطفى) بفتح الهمزة الا ورشاً وإسماعيل عن نافع فأنهما وصلاه على الخبر وبه قرأ أبو جعفر قال أبو علي الفارسي: يجوز ان يكون على تقدير (لكاذبون) في قولهم قالوا (أصطفى) ، ويجوز ان يكون اصطفى البنات على ما يقولونه والوجه قطع الهمزة لأنه على وجه التقريع ويقوي قوله : (أَمْ آتَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) ... أن

قريشاً كانت تقول : الملائكة بنات الله تعالى ، فأمر الله نبيه (صلى الله عليه وآله) ان يستفهم ... ومن قطع الهمزة أراد الإتيان بلفظ الاستفهام والمعنى كيف يكون هذا وكيف يختار البنات على البنين ، ومن وصل الهمزة أراد الإخبار بذلك ، فالاصطفاء إخراج الصفة من الشيء وهي خالصة وإنما يصطفي الله تعالى أفضل الأشياء ، ومن اصطفى الأدون على الأفضل مع القدرة على الأعلى كان ناقصاً والله تعالى لا يليق بصفات النقص في اصطفاء البنات على البنين)) (٦٥) .

٥- الإظهار والإضممار :

تمثل نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني تطوراً ملحوظاً لما طرحه النحويون الذين سبقوه ، إذ بهذه النظرية كان الاهتمام بمعاني النحو ((واعلم ان ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله)) (٦٦) فبحث الظاهر والمضممر بحث مهم من أبحاث علم النحو ، فظاهرة الإضممار والإظهار اهتم بها علماء البلاغة والمهتمون بالدلالة التعبيرية للتراكيب إذ ((يلحظ البليغ أحوال المخاطبين والسامعين فيراعي ذلك في خطابه وعندئذ يوصف بان كلامه مطابق لمقتضى ظاهر الحال وقد يعدل البليغ عن هذا الظاهر لنكتة

- (٣٧) البحر المحيط: ٤٨٦/٧
 (٣٨) بلاغة الكلمة والجملة والجمال: ٦٦
 (٣٩) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٢٨
 (٤٠) الصافات: ٧٩
 (٤١) المطففين: ١
 (٤٢) البيان في غريب إعراب القرآن: ٣٠٦/٢
 (٤٣) ينظر: علم المعاني تأصيل وتقييم: ١٤٥
 (٤٤) الصافات: ٦
 ينظر: السبعة في القراءات: ٥٤٦ *
 (٤٥) العلق: ١٥-١٦
 (٤٦) معاني القرآن ، الفراء: ٣٣٤/٢ ، وينظر التبيان: ٤٨١/٨ ، البيان في غريب إعراب القرآن: ٣٠٢/٢
 (٤٧) ينظر: البرهان: ١٩٠/٣
 (٤٨) الصافات: ١٠
 (٤٩) التبيان في إعراب القرآن: ٦٧٣/٢
 (٥٠) الصافات: ٣٨
 (٥١) البيان في غريب إعراب القرآن: ٣٠٤/٢ ، وينظر: البحر المحيط: ٤٧٦/٧
 (٥٢) بدائع الفوائد: ٣٢/٢
 (٥٣) دلائل الإعجاز: ١٧٠
 (٥٤) تلخيص الإيضاح: ٨٦
 (٥٥) الصافات: ٢٢
 (٥٦) البحر المحيط: ٧/ ٤٧٤
 (٥٧) الصافات: ٥٠-٤٥
 (٥٨) البحر المحيط: ٤٧٩/٧
 (٥٩) الصافات: ٦٦-٦٩
 (٦٠) البحر المحيط: ٤٨٤/٧
 (٦١) الصافات: ٨
 (٦٢) البحر المحيط: ٤٦٩/٧
 (٦٣) حاشية الدسوقي على مختصر السعد: ٥٦/٢
 (٦٤) الصافات: ١٥٣
 (٦٥) التبيان: ٥٣٢/٨
 (٦٦) دلائل الإعجاز: ٦٤
 (٦٧) المعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٤٨
 (٦٨) ينظر: تكوين البلاغة: ١٧٧
 (٦٩) الصافات: ١٠٠
 (٧٠) يوسف: ٢٠
 (٧١) معاني القرآن ، الفراء: ٣٤٠/٢
 (٧٢) الصافات: ١٦٧
 (٧٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٦٢١/٢
 (٧٤) الصافات: ١٧٠
 (٧٥) الأعراف: ١١٠
 (٧٦) معاني القرآن ، الفراء: ٣٤٦/٢

المصادر والمراجع

- ١- البحر المحيط : أثير الدين المعروف بابن حيان الأندلسي ، تحقيق الدكتور عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث بيروت - لبنان ، د.ت.
- ٢- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار الطباعة المنيرية ، د.ت.
- ٣- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠١.
- ٤- بلاغة الكلمة والجملة والجمال ، منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٨٨.
- ٥- البيان في غريب إعراب القرآن: أبو البركات عبد الرحيم بن محمد الانباري تحقيق ، الدكتور طه عبد الحميد طه ،

على المكون التركيبي وقد وجدنا صدى ذلك في التراكيب القرآنية في سورة الصافات .
 ٣- يعد وجود هذه الأساليب في القرآن الكريم بوصفه وجهاً من وجوه نظمه المعجز، إذ يكمن فيه جمالية النسق وحسن التأليف
 ٤- الثراء الدلالي الذي انمازت به السورة الكريمة والنتاج عن المكون التركيبي عبر النظام الطبيعي ، وقد جاءت النصوص التطبيقية متنوعة في السورة متوازنة مع الجانب التطبيقي وهذا دليل على ما تتمتع به سورة الصافات من حضور لدلالة الأساليب التركيبية سواء في التقديم والتأخير أو التعريف والتكثير ودلالة التحول بين الإظهار والإضمار والفصل والوصل والذكر والحذف ، نرجو ان تكون هذه الورقات على الرغم من قصورها مما ينتفع به في حقل الدراسات القرآنية والدلالية .

الهوامش:

- (١) دلائل الإعجاز: ١٥٢-١٥٣
- (٢) الصافات: ٥
- (٣) البحر المحيط: ٤٦٨/٧
- (٤) التكوين: ٢٣
- (٥) النجم: ٧
- (٦) الميزان: ١٢٢/١٧
- (٧) الخصائص: ٣٦٠ / ٢
- (٨) خصائص التراكيب: ١١١
- (٩) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٣٧
- (١٠) الصافات: ٣٨
- (١١) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٦١٢/٢
- (١٢) الصافات: ١
- (١٣) الصافات: ٤
- (١٤) التبيان: ٤٨١/٨
- (١٥) الصافات: ٦-٧
- (١٦) معاني القرآن ، الأخفش: ٦٦٨/٢
- (١٧) الصافات: ٨٦
- (١٨) يوسف: ٨٢
- التبيان: ٥٠٨/٨ (١٩)
- (٢٠) الصافات: ١٠٠
- (٢١) التبيان: ٥١٥/٨
- (٢٢) الصافات: ١٣١
- (٢٣) مشكل إعراب القرآن: ٦١٥/٢
- (٢٤) الصافات: ١٦٤
- (٢٥) ينظر: التبيان ٥٣٥/٨ ، ومشكل إعراب القرآن: ٦٢١/٢
- (٢٦) خصائص التراكيب: ١٣٥
- (٢٧) ينظر: تكوين البلاغة: ١١٧
- (٢٨) دلائل الإعجاز: ٧٣-٧٢
- (٢٩) الصافات: ٦-٧
- (٣٠) البحر المحيط: ٤٦٩/٧
- (٣١) الصافات: ٧١-٧٥
- (٣٢) البحر المحيط: ٤٨٤/٧
- (٣٣) الصافات: ٨٣
- (٣٤) يس: ٤١
- (٣٥) معاني القرآن، الفراء: ٣٣٩/٢ ، وينظر: التبيان: ٥٠٧/٨ ، والبحر المحيط: ٤٨٩/٧
- (٣٦) الصافات: ٨٦

- الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- ٦- التبيين في إعراب القرآن : أبو البقاء عبد الله عبد الحسن العكبري ، تحقيق سعد كريم الفقي ، دار اليقين ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م.
- ٧- تكوين البلاغة (قراءة جديدة ومنهج مقترح) ، علي الفرج ، دار المصطفى لإحياء التراث ، قم المقدسة ، الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ .
- ٨- تلخيص الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، مطبعة ومكتبة محمد صبيح وأولاده ، مصر ، ١٩٧١ .
- ٩- حاشية الدسوقي على مختصر السعد (سعد الدين التفتازاني على متن التلخيص) ، محمد عرفة الدسوقي ، دار الطباعة العامرة ، ١٢٧٦ هـ .
- ١٠- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٠ .
- ١١- خصائص التراكم محمد حسنين موسى ، دار التضامن للطباعة ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- ١٢- دلالات الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ط ٥ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٤ م.
- ١٣- السبعة في القراءات : لابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف القاهرة د.ت .
- ١٤- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: الدكتور طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، الإسكندرية، د.ت.
- ١٥- علم المعاني تاصيل وتقييم ، د. حسن طبل ، مكتبة الإيمان بالمنصورة الطبعة الأولى، ١٩٩٩ .
- ١٦- مشكل إعراب للقرآن : أبو محمد مكي بن أبي طالب ألقيسي ، تحقيق : الدكتور حاتم الضامن دار الحرية ، بغداد ، ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.
- ١٧- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، توزيع المكتبة الأموية ، طباعة ونشر وتوزيع ، ط ٤ ، ١٩٨٣ .
- ١٨- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق فاتن محمد خليل ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.
- ١٩- معاني القرآن : الأخفش سعيد بن مسعدة البلخي ، تحقيق د. عبد الأمير الورد ، ط ١ ، عالم الكتب بيروت ، ١٩٨٥ .
- ٢٠- من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، الطبعة الأولى ، د.ت.
- ٢١- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، ط ٢ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٣ م .